

تجديد الخطاب الديني: مصر/ الأزهر

إعداد: د. إنجي محمد مهدي، مدرس العلوم السياسية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة. Email: engymm@feps.edu.eg

تمر الأمة الإسلامية بمرحلة عصبية وحرجة وقد أصاب الكثير منها الجهل بحقائق هذا الدين وأصبح عرضة للتفسير طبقاً للأهواء واتخذ وسيلة لتحقيق أهداف لأجندات داخلية وخارجية. واقع مؤلم يستلزم الإسراع بجدية في تجديد الخطاب والخطيب معاً يتفق على أولوية العمل بما تقتضيه ظروف المرحلة، من رأب للصدع وتوحيد للصف لمواجهة الإرهاب والفكر المنحرف، وتحصين المجتمع من آثاره المدمرة، تجديدا لا ينكر الأصول والثوابت، بل يقدمها بلغة عصرية يفهمها الجميع.

وجاءت الدعوة التي أطلقها الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف لعام ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م لتمثل حلقة من المطالبات السياسية لتجديد الخطاب الديني، وكان المحور الرئيسي في هذا الخطاب هو دعوة علماء الأزهر والأوقاف والإفتاء إلى القيام بـ"ثورة دينية" تقوم بتجديد الخطاب الديني؛ ليكون متناغما مع عصره، وتقضي على النصوص والأفكار المدسوسة على ديننا الذي في جوهره السماحة والسلام، والتي يستغلها أصحاب الفكر المتطرف لاستحلال الدماء وفرض الإرهاب.

وفى ضوء ما سبق، تسعى الورقة البحثية لدراسة موضوع تجديد الخطاب الديني في مصر، ودور الأزهر الشريف بالأساس، في ظل التحديات الوطنية والإقليمية والدولية، وذلك من خلال المحاور التالية:

١. تجديد الخطاب الديني ما بين تحديات وطنية وإقليمية ودولية، ونظرة تاريخية لمصر خصوصا.
٢. مفهوم تجديد الخطاب الديني في مصر.
٣. دور الأزهر، مع الإشارة إلى مواقف مؤسسات أخرى: وزارة الأوقاف، ودار الإفتاء، والنخبة، والبرلمان، والرئاسة، والحكومة.
٤. نتائج الدراسة، وتوصيات بشأن تجديد الخطاب الديني في مصر في ظل ما تم طرحه. ومتابعة نتيجة المناقشات من المشاركين في الجلسة للاستفادة من خبرات متباينة تهدف إلى إثراء البحث.

أولاً: تجديد الخطاب الديني ما بين تحديات وطنية وإقليمية ودولية، ونظرة تاريخية لمصر

خصوصاً:

إن تجديد الخطاب الديني ضرورة لا محيص عنها، ذلك أن تطور الحياة المتسارع، وتنامي المشكلات، وتنوعها، وتكاثر الوقائع، وتكاثف المستجدات، واتساع كون الله، كل ذلك مما يجعل تجديد الخطاب الديني ضرورة وحاجة للمسلم لا غناء عنها، وتلبية للتطور لا مفر منها. إن تنوع المذاهب الفقهية، واختلاف أبناء المذهب مع بعضهم أحياناً، أو مع رأي صاحب المذهب، كل ذلك في مسيرة الفقه الإسلامي كان آية من آيات تجديد الخطاب الديني، وتفاعل الفقهاء مع المستجدات حسب الزمان والمكان، ولم يثرب أحد على أحد، وإنما كان ذلك في إطار من احترام تنوع الآراء لتنوع الوقائع، ولأن النصوص الشرعية حمالة وجوه، مادام ذلك كله في الإطار المشروع، وما صنيع الإمام الشافعي منا ببعيد فلقد كتب فقهه مرة في العراق، وكتبه مرة أخرى في مصر، وعرف الأول بالمذهب القديم، وعرف الثاني بالمذهب الجديد^١.

وعن حالة التطرف التي يشهدها العالم ككل والشرق الأوسط بالأخص، نشير إلى أن التعصب والعنف قد بدأ منذ فجر التاريخ الإسلامي منذ طعن أبو لؤلؤة المجوسي عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ٢٤ هـ بخنجر وطعن معه اثني عشر رجلاً، مات منهم ستة، وتوالت جرائم قتل الخلفاء الراشدين بعدما شارك اثنا عشر ألف مسلم في قتل عثمان بن عفان في بيته سنة ٣٥ هـ، وقام الخوارج بقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنهما^٢.

ومنذ ذلك الحين تشارك كثير من الجماعات المحسوبة على الإسلام وإن اختلفت أسماؤها في العنف وسفك الدماء في عدة دول إسلامية في مصر والجزائر والعراق وسوريا وأفغانستان وباكستان والصومال، وكل ذلك بدوافع دينية. كما أريق دماء كثيرة في العالم بيد المسلمين بدافع حماية الإسلام والدفاع عنه والانتقام من أعدائه، وما يصنعه تنظيم داعش وأنصار بيت المقدس وجيش النصره وتنظيم القاعدة، وما يحدث في قادم الزمان هو من المنطلقات السابقة، بحيث انتشرت الأصولية الأخيرة على نطاق واسع فلا توجد دولة في العالم الإسلامي خالية من المنظمات الإسلامية، في الوقت ذاته فإن الأصوات العلمانية والليبرالية قد تم إسكاتهما أو ضبطهما إلا من قبل أقلية من المتقنين. ولا بد من الاعتراف بأن الخطاب الديني الإسلامي بأغلب فروعه كان وما زال يعيش أزماً متتالية، منذ غلق باب الاجتهاد إلى يومنا هذا، إذ إنه عجز من أن يطور نفسه في مخاطبة مريديه. آخر المحاولات كانت في نهايات القرن التاسع عشر في

^١ د. إبراهيم صلاح السيد الهدهد، تجديد الخطاب الديني ضرورة كل عصر، منار الإسلام، عدد ٤٩٥، أجرى الحوار د. أحمد الموسى، ص ٢٠،

www.awqaf.ae/Uploads/Manar/495/20-35.pdf

^٢ المرجع السابق، ص ٢٣.

حركة الإصلاح الديني أو ما يسمى بالنهضة الإسلامية لجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وغيرهما.

وعند الحديث عن موضوع تجديد الخطاب الديني لإيجاد حل للعنف السياسي الذي يقع بإسم الإسلام، فقد حدث تجديد الخطاب الديني في مصر بالفعل منذ قرنين في سياق مواكبة الفكر الإسلامي للحقوق المدنية ومبادئ الليبرالية السياسية، وهو ما حاولت تفصيله أستاذ السياسة والدين في جامعة برمنجهام الإنجليزية والباحث البارز في جامعة جورج تاون بالولايات المتحدة، بمركز بيركلي حول الدين والسلام والشئون العالمية جوسيلين سيزاري³، في مقال هام على موقع ميدل إيست مونيتور⁴.

ترى سيزاري إن تجديد الخطاب الديني بدأ في الفترة العثمانية بعد حدثين: الأول الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨، والثاني معاهدة باريس عام ١٨٥٦، التي أنهت حرب القرم وأدخلت الدولة العثمانية في مفاوضات مع روسيا وبريطانيا وفرنسا لأول مرة.

كان هذان الحدثان سبباً في بدء جدل دائم بشأن الإسلام والحدثة، أدى إلى ظهور الحركة "السلفية" باعتبارها حركة إصلاحية حدائية، وظهر مسمى "الوحدة الإسلامية" كمشروع سياسي يوحد الشعوب المسلمة في الفترة الأخيرة من عمر الإمبراطورية العثمانية، في مواجهة حركة أخرى تدعو إلى وحدة العرب.

ساند الحداثيون والإصلاحيون في الإمبراطورية العثمانية الغرب، رغم معارضتهم للإمبريالية الغربية، وهي المعارضة النابعة من رفض المسلمين نقد الغرب للخلافة باعتبارها غير مدنية وغير قادرة على احتواء المسيحيين.

في نفس الوقت في مصر، وتحت حكم محمد علي (١٨٠٥-١٨٤٨) وخلفائه، كانت مجالس تمثيل الشعب واجهة رئيسية لتصور الإسلام السياسي الحديث عن السياسة، وحدثت آنذاك سلسلة من التغييرات المشابهة لما حدث في تركيا، وتزامنت مع الإصلاح الديني (عن طريق السلفيين)، رغم إن مصطلح "السلفية"^٥ لم يستخدمه حداثيو ذلك الوقت.

³ Jocelyne Cesari, **The Center for Middle Eastern Studies**, Harvard University, <https://cmes.fas.harvard.edu/people/jocelyne-cesari>

⁴ Jocelyne Cesari, "Guest Writer: To curb political violence in its name, Islam needs to be independent of political power, not reformed even further", **Middle East Monitor**, 1 April 2017,

<https://www.middleeastmonitor.com/20170401-to-curb-political-violence-in-its-name-islam-needs-to-be-independent-of-political-power-not-reformed-even-further/>

^٥ اتخذت "السلفية" من "السلف الصالح" مرجعاً لها، لكن المصطلح اكتسب معان مغايرة مؤخراً بسبب استخدامه الحالي في الإشارة إلى مذهب "الوهابية"، التي تختلف جذرياً في توجهاتها وأهدافها عن حركة الإصلاح الحدائي

ورغم رفض السلفية لجمود المذاهب الأربعة، فإنها في رأي سيزاري شجعت التجديد وإعادة القراءة والتأويل. وشكلت الحركة السلفية وفق هذه الرؤية تجديدًا للفكر الديني بدأ منذ زهاء قرنين، وسار جنبًا إلى جنب مع تيار الوحدة العربية، إذ اشترك الاثنان في أمور كثيرة رغم ما يظهر عليهما من تباين، وهذا بسبب تأثرهما بالغرب^٦.

وفى الثقافة المصرية يعد الإمام محمد عبده أول من فتح الطريق للتجديد، وظهرت أهم أفكاره في كتاب "رسالة التوحيد"، وفي تفسيره لأجزاء من القرآن الكريم، ومجموعة دراسات نشرت في جريدة المنار عام ١٩٠١ عن الدين الإسلامي والدين المسيحي وعلاقتها بالعلوم والحضارة الحديثة. وكانت القضية الفكرية الرئيسية للإمام محمد عبده هي قضية ضعف العالم الإسلامي وانحلاله من الداخل كما هو حادث الآن بالضبط، وحاجته للإصلاح. وكان يعتقد إن رجال الأزهر لم يقوموا بواجبهم كما ينبغي لإيقاظ العالم من سباته العميق، حيث كتب في جريدة الأهرام^٧: "..... إن رجال الدين الإسلامي فشلوا في إدراك فائدة العلوم الحديثة، وشغلوا أنفسهم بموضوعات لم تعد تناسب العصر الحديث، ويجب علينا نحن المسلمون دراسة الأديان الأخرى، ودراسة التاريخ وحضارة الدول الأجنبية المتقدمة لمعرفة سر تقدمها، لأنه ليس هناك سبب آخر لثراء هذه الدول وقوتها، سوى تقدمها في العلوم والإدارة والتنظيم والتعليم، لذلك فواجبنا الأول هو العمل على نشر هذه العلوم بكل الوسائل"^٨.

لقد كان الإسلام في أزمة منذ أن أثرت الثقافة الغربية أولاً على العالم الإسلامي. وقد تفاوتت ردود الفعل على هذا "الغزو". هناك مسلمون أعربوا عن الرغبة في التغريب، وقد فعلوا ذلك إلى حد كبير. ولم يرفض أي بلد مسلم كل الأفكار والمؤسسات الغربية. وكانت التقنيات العسكرية هي الأولى التي اعتمدها الإمبراطورية العثمانية، ثم الحاكم المصري محمد علي، تلتها دول عربية أخرى. ولم يتم قبول الأفكار الاجتماعية والسياسية والثقافية بسهولة بنفس الدرجة من التسليح وغيره من الأساليب الصناعية الغربية أو التكنولوجيا والممارسات. وحتى في حالة اعتماد مؤسسات مثل الانتخابات والبرلمانات والأحزاب السياسية والبرلمانات، فإنها لم تصبح جزءاً لا يتجزأ من الثقافة السياسية للإسلام^٩.

في القرن التاسع عشر، بحسب سيزاري، إذ رفضت الأخيرة المذاهب الأربعة، واتخذت تعاليم الرسول محمد وأحاديثه مرجعاً لها.

^٦ Ibid.

^٧ مصطفى جودة، محمد عبده وصحيفة الأهرام، الأهرام المسائي، ٢٥ فبراير ٢٠١٧،
<http://massai.ahram.org.eg/News/30749/176/218851>

^٨ المرجع السابق.

^٩ المرجع السابق.

ثانياً: مفهوم تجديد الخطاب الدينى فى مصر:

لغويًا: إن لفظة "الخطاب" كلمة عربية فصيحة مستخدمة، والأصوليون كان يستخدمونها كثيراً، والخطاب هو المحاوره والمحادثة بين طرفين، ونسبته للدين يقصد فيها الخطاب الذي يعتمد على مرجعية دينية في مخاطبته وأحكامه وبياناته، وإنني أقصد بالخطاب الدينى ما يطرحه العلماء والدعاة والمنتسبون إلى المؤسسات الإسلامية في بيان الإسلام والشريعة، سواء كان ذلك من خلال الخطب أو المحاضرات أو التأليف أو البرامج الإعلامية الأخرى، وقد يدخل في ذلك المناهج الدراسية الدينية في المدارس والجامعات الشرعية، بل يمكن أن يوسع مفهوم الخطاب الدينى ليشمل النشاط الإسلامى والنشاط الدعوى وعمل الجماعات الإسلامية والمؤسسات الإسلامية بشكل عام الفقهي منها والعلمي والدعوى والتربوي ونوع النشاط الذي تقوم به لتقييم مدى نجاحه وفشله وقربه من المقاصد العامة للتشريع ومن بعد ذلك تقويمه وإصلاحه وتجديده.

أما مصطلح التجديد والذي يعنى بأن هناك خطاباً فاعلاً كان يلبي متطلبات الواقع ولما أن ذلك الواقع تطور بسرعة كبيرة فلا بد من التجديد؛ كذلك الخطاب ليتلاءم مرة أخرى مع الواقع الجديد. وإن تجديد الخطاب هو تجديد اللغة المحكية وطرق التواصل لتلائم المتلقي بشكل يناسب الواقع، إذ إنه لا يمس جوهر الفكر بالتجديد بل فقط بطريقة طرحه وتوصيله من جديد.

وأذكر تعريف تجديد الخطاب الدينى الذي أو من به : " هو فهم النصوص الشرعية في نور المقاصد الكلية للشريعة، بما يلائم واقع الناس، ويحقق آمالهم في الحياة، ويؤهلهم للفوز في الآخرة، وهو يعنى أيضا : تجديد الطرق والأساليب والقوالب والصيغ والمناهج، ولا يمس الثوابت ولا القطعيات"^{١٠}.

وعن موضوع تجديد الخطاب الدينى فى مصر، أكد فضيلة الإمام الأكبر أ.د/ أحمد الطيب، شيخ الأزهر الشريف، إن التجديد خاصة لازمة من خواص دين الإسلام، موضحاً أنه لا بد من إعداد قائمة إحصائية بكبريات القضايا التي تطرح نفسها على الساحة الآن على أن تكون الأولوية للقضايا التي شكّلت مبادئ اعتقادية عند جماعات التكفير والعنف والإرهاب المسلح، مثل قضايا الجهاد، الخلافة، التكفير، الولاء والبراء، تقسيم المعمورة وغيرها. وهو ما أوضحه فضيلته، في مقاله الأسبوعي بصحيفة "صوت الأزهر"، الذي جاء تحت عنوان "التجديد الذي ننتظره"^{١١}.

^{١٠} د. إبراهيم صلاح السيد الهدهد، مرجع سابق، ص ٢٠.
^{١١} التجديد الذي ننتظره، أ.د/ أحمد الطيب، مجلة الأزهر، ٣٠ مارس ٢٠١٧،

إن الاجتهاد في توضيح هذه المسائل يجب أن يكون اجتهادًا جماعيًا وليس فرديًا - الذي لم يعد مُمكنًا لتعدد الاختصاصات العلمية، وتشابك القضايا بين علوم عدة. كما إن التجديد الذي ننتظره ينبغي أن يسير في خطين متوازيين : خط ينطلق فيه من القرآن والسنة أولاً، وبشكل أساس، ثم مما يتناسب ومفاهيم العصر من كنوز التراث بعد ذلك، وخط موازٍ يتم فيه الانفتاح على الآخرين بهدف استكشاف عناصر التقاء يمكن توظيفها في تشكيل إطار ثقافي عام يتصالح فيه الجميع، ويبحثون فيه معاً عن صيغة وسطى للتغلب على المرض المزمن الذي يستنزف طاقة أي تجديد واعد، ويقف لنجاحه بالمرصاد، والمتمثل في الانقسام التقليدي إزاء "التراث والحداثة" إلى : تيار متشبث بالتراث كما هو، وتيار متغرب يدير ظهره للتراث، ثم تيارٍ إصلاحي خافت الصوت لا يكاد يبين^{١٢}.

وذكر شيخ الأزهر إن هذا الاختلاف - في حد ذاته- أمر طبيعي وظاهرة مقبولة، لكنه ليس مقبولاً ولا طبيعياً أن يتحول الموقف كله من مواجهة خارجية إلى صراع داخلي يترك الساحة خالية لفرسان أجنب يسحقون الجميع، لافتاً إلى أن التيار الإصلاحي "الوسطي" هو المؤهل لحمل الأمانة، والجدير بمهمة "التجديد" الحقيقي، الذي تتطلع إليه الأمة، وهو -وحده- القادر على تجديد الدين بعيداً عن إغائه أو تشويبه، ولكن شريطة أن يتفادى الصراع الذي يستنزف طاقته من اليمين ومن اليسار^{١٣}.

وعرّف الدكتور أسامة الأزهرى^{١٤} مفهوم تجديد الخطاب الديني، بأنه يعني : "إزالة التشوهات التي أصابت الدين الإسلامي وعودته إلى أصله السمح الطيب". وأضاف الأزهرى إن فى الآونة الأخيرة ولد ما يعرف بالدين الموازي، وهو امتداد لفكر الخوارج، لافتاً إلى أن هناك أعمال تشويه أصقت بالدين الحنيف السمح^{١٥}.

ووفقاً لوزارة الأوقاف المصرية: تجديد الخطاب الديني^{١٦} يعني تجريده مما علق به من أوهام، أو خرافات، أو فهم غير صحيح ينافي مقاصد الإسلام وسماحته، وإنسانيته وعقلانيته، ومصالحه المرعية، ومآلاته المعتمدة، بما يلائم حياة الناس، ويحقق المصلحة الوطنية، ولا يمس الأصول الاعتقادية، أو الشرعية، أو القيم الأخلاقية الراسخة، وأنه يجب أن يتجه الخطاب الديني

^{١٢} المرجع السابق.

^{١٣} المرجع السابق.

^{١٤} الشيخ أسامة السيد الأزهرى، من الدعاة القائمين على إعادة تأهيل الخطاب الدعوى فى المساجد عقب ثورة ٢٥ يناير، وعضو الهيئة الاستشارية لرئاسة الجمهورية، و تم اختياره من ضمن المعينين بمجلس النواب الحالى ليصير وكيل اللجنة الدينية.

^{١٥} بالفيديو... الأزهرى: تجديد الخطاب الديني "طوق النجاة"، مايو ٢٠١٧، التحرير،

<http://www.tahrirnews.com/posts/750735>

^{١٦} نص توصيات مؤتمر الأوقاف، "بحث آليات تجديد الخطاب الديني"، ٢٥ مايو ٢٠١٥، أخبار الأوقاف،

<http://ar.awkafonline.com/?p=17520>

المعاصر إلى إقناع العقل، وإمتاع الوجدان، والرقي بالمشاعر، وتنمية المواهب الإبداعية، والتشجيع عليها، وتعزيز المشتركات الإنسانية، وترسيخ المعاني الوطنية، وإشاعة روح التسامح والمودة بين أبناء الوطن جمعياً، واحترام حق التعددية الاعتقادية والفكرية في ضوء الحفاظ على القيم الأساسية للمجتمع وبما لا يخل بأمنه القومي^{١٧}.

ثالثاً: دور الأزهر، مع الإشارة إلى مواقف مؤسسات أخرى: وزارة الأوقاف، ودار الإفتاء، والنخبة، والبرلمان، والرئاسة والحكومة:

يعتبر الأزهر مركز إشعاع روحي ينهض لتأدية رسالته النبيلة فتفيد منه شعوب العالم الإسلامي، كما يغترف من علومه آلاف الطلاب الآسيويين والأفريقيين والأوربيين الذي يفدون إلى كليات الجامعة الأزهرية، بالإضافة إلى البعوث الكثيرة التي يبعثها إلى البلدان الشقيقة، ونذكر في هذا المجال أيضاً جهود المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في نشر المعرفة الإسلامية، وما يبذله من المنح للطلاب المجددين.

إن تاريخ الأزهر هو تاريخ الثقافة الإسلامية منذ القرن الرابع الهجري إلى اليوم، وإذا كانت مصر قد وضعتها الأقدار في هذا الموقع الخطير على خريطة العالم حيث تقع مركز اتصال بين القارات، ترسل من أشعتها الثقافية والحضارية إلى شتى أنحاء العالم شرقية وغربية، فإن الأزهر قد نهض في هذا المكان - ولا يزال يقوم - بدور رائع عظيم الأثر في الفكر الإسلامي، بل والفكر الإنساني، يرسل دعاته وأفكاره في كل اتجاه ينشر العلم والمعرفة، وقد وقف الأزهر ألف سنة أو تزيد، يصارع الحوادث الخارجية والداخلية، السياسية والاجتماعية.

وينص الدستور المصري في مادته السابعة على " أن الأزهر الشريف هيئة إسلامية علمية مستقلة، يختص دون غيره في القيام على شؤونه كافة، وهو المرجع الأساسي في العلوم الدينية والشؤون الإسلامية، ويتولى مسؤولية الدعوة ونشر علوم الدين واللغة العربية في مصر والعالم. وتلتزم الدولة بتوفير الاعتمادات المالية الكافية لتحقيق أغراضه. وشيخ الأزهر مستقل غير قابل للعزل، وينظم القانون طريقة اختياره من بين أعضاء هيئة كبار العلماء"^{١٨}.

ولقد ظل الأزهر صامداً لأكثر من ألف عام تحت لواء الوسطية والاعتدال، وكان وسيظل أمينا إن شاء الله يبلغ تلك الرسالة إلى العالمين، ويفد إليه طلاب العلم من ربوع العالم كله، منذ أكثر من خمسمائة عام، ويدرس فيه عشرات الآلاف من طلاب العلم وطالباته من أكثر

^{١٧} المرجع السابق.

^{١٨} المادة (٧)، دستور مصر،

من ١١٠ دولة، وقد واجه كثيرا من الصراعات السياسية وصور الاحتلال الغاشم، وخلافات فكرية غير رشيدة للنيل من منهجه، كما لم تنل منه الانزيحات المنهجية التي نالت من بعض المؤسسات الدينية، وذلك بفضل الله ثم بفضل استراتيجيته نجحت في الإبقاء على قيمة وأهمية دوره من خلال شيوخه الأعلام، وبما تقوم عليه مناهجه من التنوع والثراء.

ونشير إلى دراسة جاءت تحت عنوان "تجديد الخطاب الديني" أعدها الشيخ محمد زكي الأمين العام للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر قدمها لجريدة "الأهرام"^{١٩} كروية تحليلية وسطية من الأزهر حول قضايا الدعوة وتجديد الخطاب الديني والتكفير. وأشارت هذه الورقة القيمة إلى مظاهر الضعف التي انتابت الخطاب الديني والذي كشأن أي أمر في الحياة قد تعرض لبعض الآفات التي تعوقه عن أداء الدور الأمثل فيحتاج إلى علاج. فتعرض الخطاب الإسلامي لعدد من مظاهر الضعف، متأثراً في ذلك بما يجري على الساحة من حراك سياسي وفكري واجتماعي منها ضعف عرض شمولية الإسلام فيعرض مبتوراً مضخماً بعض جوانبه دون بعض، فهي تخاطب الروح وتهمل جوانب الفكر والثقافة، أو توغل في الخطاب الفكري والسياسي وتهمل الخطاب الإيماني، وهناك من يكثر من الخطاب العاطفي ويغفل الخطاب العقلي، وهكذا يكون الخطاب الديني قاصراً وغير متوازن يؤدي إلى بتر الشخصية الإسلامية وتضررها^{٢٠}.

وفيما يلي استعراض لاستراتيجية الأزهر الشريف للتجديد ومتابعة الواقع:

١. **علي المستوى التدريسي:** إن المذاهب الفقهية الأربعة تدرس فيه منذ المرحلة الإعدادية، وفي تخصص الفقه المقارن بمرحلة الدراسات العليا بالجامعة تدرس المذاهب الفقهية الثمانية (الحنفي المالكي الشافعي الحنبلي الإباضي الجعفري الزيدي الظاهري) كما تدرس فيه المذاهب العقدية حتى الخارجة منها على الإسلام، حتى على المستوى اللغوي تدرس مذاهب النحويين ومدارسهم، فيترى الطالب منذ البداية على التنوع وقبول الآخر، واحترام ثقافته، كما أن الدراسة فيه تقوم على اصطفاء كتب أهل العلم الذين حملوا لواء الوسطية والاعتدال^{٢١}.

كما يضم الأزهر الشريف قطاع المعاهد الأزهرية وهو يتولى شأن التعليم الأزهرى قبل الجامعي، ويدرس في التعليم قبل الجامعي أكثر من مليوني طالب وطالبة، كما يضم الأزهر الشريف، جامعة الأزهر، وهي تضم ستا وسبعين كلية تنتشر في ربوع مصر، وتضم الجامعة أكثر من خمسة عشر ألف عضو هيئة تدريس غير الهيئة المعاونة من الذكور والإناث، تخدم

^{١٩} علي شيخون، الأهرام تفتح ملف تجديد الخطاب الديني، الأهرام، ٢٣ أغسطس ٢٠١٥،

gate.ahram.org.eg/NewsContentPrint/1/244/733442.aspx

^{٢٠} المرجع السابق.

^{٢١} د. إبراهيم الهدهد، مرجع سابق، ص ٢٤.

أكثر من خمسة عشر ألف طالب وطالبة من الوافدين، وما يقرب من أربعمئة ألف طالب وطالبة من المصريين، كما أنشأ الأزهر الشريف بوابة إلكترونية، كل ذلك مما يجعله قادرا على مواجهة التحديات إذ يقوم على فكر مؤسسي رصين.

٢. **الانفتاح على الجديد في العالم:** فالأزهر يبعث أبناءه منذ أربعينيات القرن الماضي إلى الغرب لدراسة علوم الإسلام واللغة، بعد أن تحصنوا في الأزهر خوفا من الانزلاق وراء أفكار المستشرقين، كما أن الأزهر في الداخل يدرس لأبنائه في الكليات الشرعية عدة لغات أجنبية تمكن دارس الشريعة وأصول الدين من الاطلاع على منجزات الغرب، كما أن بجامعة الأزهر كليات اللغات والترجمة، وبه أقسام تدرس فيها علوم أصول الدين والشريعة باللغات الأجنبية (الإنجليزية، الفرنسية، الألمانية، الأسبانية، الأوردو)^{٢٢}.

وهذا مما يمكن الأزهر الشريف من القدرة على مواجهة التحديات، فحينما أراد الإمام الأكبر أ. د/أحمد الطيب مواجهة الأفكار الداعشية وغيرها، والتواصل الفعال مع العالم الخارجي، أسعفت فكرته هذه الكوادر التي تخرجت في الأزهر وتربت على مناهجه، فأنشأ مركزا للحوار المحلي والعالمي لأتباع الديانات الأخرى، يعمل فيه مفكرون تخرجوا في الأزهر، وأجادوا كثيرا من اللغات العالمية، كما أنشأ بالأزهر مرصدا بسبع لغات يعمل فيه أيضا من تخرجوا في الأزهر ينتبعون ما ينشر عن داعش وغيرها، وينقلون ذلك للعلماء فيتولون الرد على ذلك ونشره باللغات المختلفة، وبوسائل النشر المختلفة.

٣. **وعلى المستوى المؤسسي:** يضم الأزهر الشريف هيئتين علميتين كبيرتين، (هيئة كبار العلماء) و(مجمع البحوث الإسلامية). أما عن هيئة كبار العلماء^{٢٣}: تضم كبار أهل العلم في العلوم الشرعية، وقد صدر بشأنها تعديل في قانون ١٠٣ الذي يخص الأزهر الشريف وهيئاته عام ٢٠١١، ومن اختصاصها اختيار مفتى الجمهورية بطريق الانتخاب بواسطة أعضائها، وهي التي اختارت المفتى الحالي أ.د. شوقي عبد الكريم علام، وصدر القرار الجمهوري بناء على الاقتراح الذي أجرته هيئة كبار العلماء عام ٢٠١٣ لمدة أربع سنوات، وتم تجديدها هذا العام لفترة أخرى. وهذا يعكس العلاقة الوثيقة بين الأزهر ودار الإفتاء المصرية.

و(مجمع البحوث الإسلامية)^{٢٤} وهو هيئة علمية عالمية تضم في عضويتها المصريين وغيرهم، والعضوية فيه تكون عن طريق الانتخاب من أعضائه. ونشير هنا إلى أن فضيلة المفتى

^{٢٢} المرجع السابق، ص ص ٢٣-٢٤.

^{٢٣} هيئة كبار العلماء، بوابة الأزهر،

<http://www.azhar.org/m-alazhar/kibar-alolamaa>

^{٢٤} مجمع البحوث الإسلامية، بوابة الأزهر،

<http://www.azhar.org/magmaa>

هو أحد الأعضاء فى مجمع البحوث عن طريق الانتخاب بواسطة أعضاء المجمع، ويتولى لجنة الفقه بالمجمع، ورغم إن دار الإفتاء تتبع إداريا وزارة العدل المصرية، إلا أن التنام والتسيق واضح بين مؤسستى الأزهر والإفتاء فى ظل ما تمت الإشارة إليه. فالمنهج واحد، والمنبع واحد.

ويمكن الإشارة إلى مواجهات حقيقية فى الداخل والخارج قام بها الإمام الأكبر أ.د/أحمد

الطيب كمساعي لمواجهة التطرف:

١. إنشاء بيت العائلة المصري بقرار من رئيس الوزراء يتناوب رئاسته الإمام الأكبر وقدااسة بابا الكنيسة المصرية الأرثوذكسية باعتبارها الطائفة المسيحية الغالبة فى مصر. وقد أسهم بيت العائلة فى إطفاء مشكلات كثيرة، وإخماد أخرى فى ربوع مصر كلما بدت أية مشكلة طائفية. وجاءت فكرته فى ٢٠١١ بعد تفجير كنيسة القديسين وكان فضيلة الإمام الأكبر يعزى قداسة البابا فى الاسكندرية وطرأت فكرة بيت العائلة فقرر إنشاء كيان إسلامي مسيحي يضم أفرادا من الديانتين يرأسه الإمام الأكبر لمدة سنة أشهر ثم ينوبه البابا الستة أشهر الأخرى من العام. والهدف منه نشر ثقافة العيش المشترك وثقافة احترام الآخر وتقوية الرباط المجتمعي، ويوجد حوالي ٢٠ فرعا لبيت العائلة فى محافظات مصر وجار إنشاء غيرها ^{٢٥}.

ومن الجدير الإشارة إلى لجان عدة يشملها البيت، منها: لجنة الثقافة الأسرية، ولجنة الخطاب الديني، ولجنة الشباب.. الخ. وكل لجنة تقوم بمجموعة من الخدمات على رأسها التوعية، وإن أحدث الإنجازات التي تمت لبيت العائلة هي بروتوكول تم بينه وبين وزارة الشباب والرياضة، وتضمن إقامة ٤٣ لقاء للحوار المجتمعي بجميع المحافظات يحضر به كبار المفكرين والمتقنين؛ ليتحاوروا مع الناس ويزيلوا الأفكار المغلوطة، ويصححوا المفاهيم لديهم لنشر الوعي والفكر الوسطي الصحيح.

٢. كما أنشأ الإمام الأكبر اللجنة العليا للمصالحة تنتقل على الفور لأى مكان فى مصر تحدث فيه توترات بين بعض العائلات أو القبائل المصرية، وهى تجربة أثبتت نجاحا لحل كثير من النزاعات و سفك الدماء ^{٢٦}.

٣. وثيقة تجديد الخطاب الديني^{٢٧}: يعتزم الأزهر الشريف إصدار وثيقة لتجديد الخطاب الديني بعد مناقشات وحوارات مستفيضة امتدت لأكثر من عام حتى الآن، والتي قام بصياغتها الكاتب الكبير

^{٢٥} د. ربيع الغفير المنسق العام لفروع بيت العائلة : شيخ الأزهر .. نجح فى وضع أرضية للتواصل بين الديانات، بوابة الأزهر، مارس ٢٠١٧،

<http://www.azhar.eg/ArticleDetails>

^{٢٦} لجنة المصالحات بالأزهر.. تواجه العصبية براهية الوسطية والتسامح، بوابة الأزهر، ٤ يناير ٢٠١٧،

<http://www.azhar.eg/ArticleDetails>

^{٢٧} بيان من الأزهر الشريف حول وثيقة تجديد الخطاب الديني، بوابة الأزهر، ٢٦ يونيو ٢٠١٦،

<http://www.azhar.eg/details>

الدكتور صلاح فضل، ورأس اجتماعاتها الإمام الأكبر بحضور لفييف من المثقفين ورجال الفكر مع رجال الدين وقيادات الأزهر داخل مشيخة الأزهر الشريف، لمناقشة آليات وضوابط تجديد الخطاب الديني، وسبل حماية المجتمع من كافة أشكال الفكر المتطرف والمتشدد الذي بات يهدد الاستقرار والأمن المجتمعي.

٤. **مرصد الأزهر باللغات الأجنبية:** تم الافتتاح في الثالث من شهر يونيو ٢٠١٥ ليكون أحد أهم الدعائم الحديثة لمؤسسة الأزهر العريقة، وقد وصفه فضيلته بأنه "عين الأزهر الناظرة على العالم"، لا سيما وأنه يعمل بثمان لغات أجنبية حية كالإنجليزية، الفرنسية، الألمانية، الإسبانية، الأوردية، الفارسية، والصينية، يقوم من خلالها بقراءة وتتبع ما يتم نشره بهذه اللغات عن الإسلام والمسلمين مع التركيز على ما ينشره المتطرفون من أفكار ومفاهيم مغلوطة. وذلك متابعة منه لما يحدث في العالم من مستجدات وقضايا يعمل على رصدها ومتابعتها وتحليلها أولاً بأول والرد عليها بموضوعية وحيادية لنشر الفهم الصحيح لتعاليم الإسلام ووسطيته ومن ثم مجابهة الفكر المنحرف والمتطرف وتفكيكه لتحصين الشباب من مختلف الأعمار من الوقوع فريسة في براثنه^{٢٨}.

وقد تم إنشاء موقع للمرصد على بوابة الأزهر بسبع لغات، يتيح من خلاله نشر تقاريره ومقالاته وتوصياته المختلفة، كما يعنى الموقع بنشر مقالات اللجنة الشرعية الملحقة بالمرصد والتي ترد على ما تثيره الجماعات الإرهابية من أفكار متطرفة وتفسير مغلوط وقراءة خاطئة للنصوص الإسلامية، كما يطلق المرصد من خلال موقعه "حملات التوعية" التي تقوم الفكر المعوج وترد على الباطل بالحق المبين، مثل حملة "يدعون ونصح" وحملة "تصحيح المفاهيم". بالإضافة إلى ذلك يقوم المرصد بنشر هذه التقارير والمقالات والحملات التوعوية على صفحاته الرسمية على مواقع التواصل الاجتماعي "الفييس بوك" و "تويتر" ليسهل على الجميع التواصل مع المرصد والتعرف على ما يقدمه من خدمات، ويوفر لهم مساحة للتعبير عن آرائهم ويعرف من خلال التعليقات ما يدور في أذهانهم حول الإسلام والمسلمين ويجيب على تساؤلاتهم ويرد على تفاعلاتهم حول مختلف القضايا والأحداث.

كما يشارك المرصد بأعضائه وتقاريره المختلفة في العديد من المؤتمرات الدولية التي تناقش قضايا الإسلام والإرهاب وعلاقة المسلم بغير المسلم وتعزيز قيم التسامح والرحمة والعيش المشترك وتعزيز المجتمعات المتماسكة ومناهضة الإسلاموفوبيا ومساعدة الأقليات المسلمة على الاندماج في المجتمعات التي يعيشون فيها مع المحافظة على هويتهم والمساعدة

^{٢٨} نبذة عن مرصد الأزهر، بوابة الأزهر، <http://www.azhar.eg/observer>

على تقديم الحلول الشرعية والفقهية والعملية للقضايا التي يواجهونها، ويفتح المرصد أبوابه للتعاون مع المؤسسات المعنية بنشر ثقافة السلام ومكافحة الكراهية ودعم التعددية والتشجيع على تأسيس مجتمعات آمنة تنعم بالرخاء والأمن والسلام^{٢٩}.

٥. **على المستوى الخارجي:** أسهم الإمام الأكبر في إنشاء **مجلس الحكماء** تحت رئاسته، والذي يمثل هيئة دولية مستقلة تأسست في ٢١ رمضان ١٤٣٥ هـ الموافق ١٩ يوليو ٢٠١٤، تهدف إلى تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة، وتجمع ثلة من علماء الأمة الإسلامية وخبرائها ووجَّهائها ممن يتسمون بالحكمة والعدالة والاستقلال والوسطية، للمساهمة في تعزيز السلم في المجتمعات المسلمة، وكسر حدة الاضطراب والاحتراب التي سادت مجتمعات كثيرة من الأمة الإسلامية في الآونة الأخيرة، وتجنبيها عوامل الصِّراع والانقسام والتشرُّم. ويعتبر المجلس، الذي يتخذ من العاصمة الإماراتية أبوظبي مقراً له، أول كيان مؤسسي يهدف إلى توحيد الجهود في لم شمل الأمة الإسلامية وإطفاء الحرائق التي تجتاح جسدها، وتهدد القيم الإنسانية، ومبادئ الإسلام السمحة، وتشيع شرور الطائفية والعنف التي تعصف بالعالم الإسلامي منذ عقود^{٣٠}.

وعن أهم إنجازات المجلس: "مشروع قوافل السلام"، وهي مجموعات علمية أزهرية متخصصة في الشريعة الإسلامية وعلومها، يتحدثون لغة الدولة التي سيقومون بزيارتها، وتقوم هذه القوافل بتنظيم أنشطة علمية وفكرية مكثفة في شهر رمضان المعظم، تشتمل على ندوات دينية ولقاءات فكرية ومحاضرات علمية في عدد من المؤسسات الدينية والأكاديمية؛ تهدف كلها لتصحيح المفاهيم، وتخفيف حدة التوتر الديني الذي يحيط بكثير من المجتمعات المسلمة؛ وذلك بالتعاون مع الأزهر الشريف^{٣١}.

ومن الإنجازات أيضاً "مبادرة الحوار" بين حكماء الشرق والغرب التي انطلقت في يونيو ٢٠١٥ بمدينة فلورنسا الإيطالية بمبادرة من مجلس حكماء المسلمين بهدف نشر التعايش والسلام، واحتضنت باريس الجولة الثانية من هذا الحوار الذي انعقدت ثالث جولاته في مدينة جنيف بسويسرا مطلع أكتوبر الماضي، فيما استضافت أبوظبي الجولة الرابعة من الحوار في نوفمبر ٢٠١٦، وآخر الجولات كانت بالقاهرة في أبريل ٢٠١٧. هذا فضلاً عن مركز الحوار بالأزهر برئاسة د. محمود حمدي مروزق، لإدارة حوار بين الأزهر وغيره من المؤسسات الدينية الرسمية.

^{٢٩} المرجع السابق.

^{٣٠} حول المجلس، مجلس حكماء المسلمين،

<http://www.muslim-elders.com>

^{٣١} حول القافلة، مجلس حكماء المسلمين،

<http://www.muslim-elders.com/>

وتم عقد مؤتمر الأزهر العالمي للسلام بالقاهرة ليومين ٢٧-٢٨ أبريل من العام الحالى تحت عنوان "رسالة محبة"، برعاية فضيلة شيخ الأزهر، وحضور عدد من القيادات الدينية من أنحاء العالم ويتقدمهم البابا فرانسيس بابا الفاتيكان، لتوجيه رسالة للعالم وهي الدعوة إلى السلام^{٣٢}. ومن أهم أهداف المؤتمر العمل يدا واحدة لنبذ كل أسباب التعصب والكراهية. ومن ضمن المحاور الأربعة للمؤتمر: إساءة التأويل للنصوص الدينية وأثره على السلام العالمي.

وعن تحركات وزارة الأوقاف بشأن تجديد الخطاب الدينى، فنشير إلى ما يلى :

١. قرار الوزير د. محمد مختار جمعة بعقد صالون ثقافي أسبوعيًا يناقش تجديد الخطاب الديني وتصحيح المفاهيم ومحاربة التشدد.

٢. قامت الوزارة بترتيب البيت من الداخل، حيث إنها منعت صعود المنابر سوى لخريجي الأزهر الذي درس أكثر من ١٨ عامًا، أو معاهد إعداد الدعاة، والمراكز الثقافية التي تشرف عليها الوزارة.

٣. كما قامت الوزارة بتوحيد خطبة الجمعة باختيار الموضوع وعناصره ومفرداته، وترك المساحة والحرية لإبداع الخطيب وفق رؤية معينة وهادفة من شأنها تحقيق الاستقرار^{٣٣}.

وتبنى دار الإفتاء الدعوة التي أطلقها الرئيس لتجديد الخطاب الديني، وتشهد تطورًا كبيرًا في المرحلة القادمة بهدف تحقيق أعلى درجات التواصل الفاعل مع جميع المتعاملين مع دار الإفتاء من عموم المسلمين في مصر والعالم من خلال تقديم مزيد من الخدمات الشرعية والإفتائية بصورة عصرية تناسب الواقع. حيث بدأت دار الإفتاء مع بداية العام في مشروع قومي يهدف إلى تصحيح صورة الإسلام بالخارج عبر عدة وسائل من أهمها إرسال قوافل من علماء دار الإفتاء المصرية للقيام بجولات خارجية تجوب العالم لنشر الفكر الصحيح، وتوضيح العديد من المفاهيم التي يستغلها المتطرفون وأعداء الإسلام في تشويه صورة الإسلام والمسلمين لدى الغرب^{٣٤}.

ونشير من خلال الأسطر التالية إلى مواقف مؤسسات أخرى من المهتمين بقضية تجديد الخطاب الدينى فى المجتمع المصري من ناحية، وكيف يرون دور مؤسسة الأزهر الشريف من ناحية أخرى:

^{٣٢} مؤتمر الأزهر العالمي للسلام، بوابة الأزهر،

<http://www.azhar.org/PeaceConf>

^{٣٣} تجديد الخطاب، بوابة الأوقاف الإلكترونية،

<http://www.awkafonline.com/portal>

^{٣٤} التدريب والتأهيل، دار الإفتاء المصرية،

<http://www.dar-alifta.gov.eg/ar/Default.aspx?sec=train>

فعلى مستوى الأحزاب السياسية، فقد حددت الأحزاب السياسية عددا من المحاور الواجب وضعها في الاعتبار عند تجديد الخطاب الديني، مؤكدة في الوقت نفسه أنها ليست مسئولة الأزهر الشريف فحسب وإنما مسئولية عدد من المؤسسات الأخرى مثل وزارات التربية والتعليم والثقافة والأوقاف والشباب^{٣٥}.

ونشير كذلك إلى موقف مجلس النواب المصري، الذي أعلن رئيسه الدكتور على عبد العال مسئولية وضع خطة وضوابط تجديد الخطاب الديني دون انتظار أية جهة أو وزارة، عقب إعلان حالة الطوارئ نتيجة تفجيرات كنائس طنطا والإسكندرية الأخيرة خلال شهر أبريل الماضى . بينما رأى عدد من النواب ضرورة التعاون مع الأزهر الشريف وعدم الانفراد باتخاذ القرارات بالنظر إلى الجهود التي يبذلها من أجل هذه القضية.

وفى هذا السياق، تقدم أحد النواب بلجنة الشؤون الدينية بمشروع قانون لتنظيم الخطاب الديني، وتتمثل أبرز ملامح مشروع القانون^{٣٦} فى التالي : وضع مفهوم واضح لرجل الدين المنوط به الدعوة والخطابة، وتحديد المسؤوليات والواجبات على رجال الدين والإعلام من خلال المؤسسات الدينية فى مصر، متمثلة فى الأزهر، ووزارة الأوقاف، وتحديد هذه المؤسسات للأشخاص المنوط بهم الخطابة والدعوة بشرط المسئولية الكاملة عن هؤلاء الأشخاص فى حالة الصواب والخطأ.

كما إن المشروع يتضمن محاسبة وسائل الإعلام التي تستضيف أشخاصا يدعون أنهم رجال دين ولم يحصلوا على رخصة من الأزهر، أو الأوقاف، لافتاً إلى أن العقوبات ستبدأ بالغرامة المالية ثم تتدرج إلى إيقاف البرنامج الذى استضاف هؤلاء الأشخاص لمدة ٦ أشهر، إضافة إلى محاسبة الصحفيين الذى يجرون لقاءات وحوارات صحفية معهم أيضاً^{٣٧}.

ولمؤسسة الرئاسة تحرك هام فى هذا الشأن بإعلان الرئيس عبد الفتاح السيسى، تأسيس المجلس الأعلى لمكافحة الإرهاب، ليشراف على عملية تجديد الخطاب الديني، عقب اجتماع مجلس الدفاع الوطنى فى التاسع من أبريل بعد الهجوم الإرهابي الذي تعرضت إليه كنيسة مارجرس بطنطا والمرقسية بالإسكندرية السابق الإشارة إليه. وتتمثل مهام المجلس فى صياغة استراتيجية وطنية شاملة لمواجهة الإرهاب والتطرف من جميع الجوانب، وإصدار القرارات والإجراءات الملزمة لتنفيذها، فضلا عن تعزيز مشاركة جميع أطراف المجتمع فى التعامل مع

^{٣٥} رحاب عبد المنعم، خارطة طريق سياسية لتجديد الخطاب الديني، الأهرام المسائي، ٢٢ أبريل ٢٠١٧، [خارطة-طريق-سياسية-لتجديد-الخطاب-الديني/](http://massai.ahram.org.eg/.../خارطة-طريق-سياسية-لتجديد-الخطاب-الديني/)

^{٣٦} عضو "دينية النواب" يكشف أهم ملامح مشروع قانون تنظيم الخطاب الديني، الوفد، ١١ أبريل ٢٠١٧،

<https://m.alwafd.org>

^{٣٧} المرجع السابق.

ظاهرة الإرهاب، وتطوير الخطط الأمنية لمواجهة الخطر الناجم عنها، وزيادة الوعي المجتمعي بسبل التعامل مع تلك الظاهرة، وتصحيح المفاهيم المغلوطة التي تستغلها التنظيمات الإرهابية في جذب عناصر جديدة^{٣٨}.

وسيضم المجلس جميع الوزراء ورؤساء هيئات ومؤسسات الدولة ذات الصلة بمكافحة الإرهاب، ويعاونه لجان دائمة تضم شخصيات عامة وخبراء في جميع المجالات، على أن تساهم تلك اللجان في تحليل ودراسة التنظيمات الإرهابية، ومتابعة ورصد نشاطها وخطابها المتطرف على جميع المستويات محليا وإقليميا ودوليا، فضلا عن اقتراح الآليات والإجراءات الأمنية والقانونية لمواجهتها ومتابعة تنفيذها. كما ستتولى اللجان تنسيق الدعم لأسر ضحايا العمليات الإرهابية، فضلا عن إعداد الاستراتيجيات الإعلامية المتخصصة لمواجهة الإرهاب والفكر المتطرف. وهذا كله في إطار تعزيز التنسيق بين جميع أجهزة الدولة والمجتمع في مواجهة تلك الظاهرة والقضاء عليها^{٣٩}.

وما إن صدر قرار بتشكيل المجلس الأعلى لمكافحة الإرهاب بموجب تشريع يجرى إعداده بدأت الأسئلة حول علاقة المجلس بالأزهر، ومدى التنسيق بينهما من عدمه، وعن تقييم الرئاسة لجهود الأزهر تجاه عملية تجديد الخطاب الديني. لكن سرعان ما انتهى هذا الجدل عندما أكد الرئيس المصري مرارا على محورية دور الأزهر الشريف في عملية تجديد الخطاب الديني. ونشير في هذا السياق إلى كلمة الرئيس عبد الفتاح السيسي في القمة الإسلامية الأمريكية بالرياض في ٢١ مايو ٢٠١٧ بتأكيد على المقاربة الشاملة لمكافحة الإرهاب بكل الأبعاد السياسية والأيدولوجية والتنموية إلى جانب الإجراءات الأمنية والعسكرية^{٤٠}.

وفي هذه السياق أكد سيادته على متابعة تنفيذ المبادرة لتصويب الخطاب الديني التي أطلقها منذ عامين مع المؤسسات الدينية العريقة في مصر وعلى رأسها الأزهر الشريف، بما يمثله من مرجعية للإسلام الوسطى المعتدل، وبالتعاون مع قادة الفكر والرأي في العالمين العربي والإسلامي باعتبار ذلك الجانب لا يقل أهمية عن المواجهات الميدانية لاستئصال التنظيمات الإرهابية^{٤١}.

^{٣٨} الرئاسة تعلن اختصاصات المجلس الأعلى لمكافحة الإرهاب والتطرف، الأهرام، ١٢ أبريل ٢٠١٧،

<http://www.ahram.org.eg/News/202232/136/587993>

^{٣٩} المرجع السابق.

^{٤٠} "الوطن" تنشر نص كلمة السيسي في القمة "الإسلامية الأمريكية" بالرياض، الوطن، ١٢ مايو ٢٠١٧،

<http://www.elwatannews.com/news/details/2118994>

^{٤١} المرجع السابق.

واستمراراً للجهود الرسمية المصرية لمكافحة الإرهاب، نجحت البعثة المصرية لدى الأمم المتحدة في نيويورك في استصدار قرار من مجلس الأمن بإجماع آراء الدول أعضاء المجلس للترحيب بالإطار الدولي الشامل لمكافحة الخطاب الإرهابي ووضعه موضع التنفيذ، وهو الإطار الذي سبق أن نجحت مصر في اعتماده بالإجماع كوثيقة رسمية من وثائق مجلس الأمن، وقد صدر القرار تحت رقم ٢٣٥٤ بتاريخ ٢٤ مايو ٢٠١٧. وذكرت الخارجية المصرية في بيان صحفي، " إن القرار يأتي تنويجاً لجهود مصر في مكافحة خطاب وأيديولوجيات الإرهاب، فهو تنويه إلى أهمية البعد الفكري والإيديولوجي في إطار الحرب العالمية على الإرهاب، وإن مصر كانت سباقة في إدراكها لأهمية التصدي لخطاب الإرهاب بالنظر إلى مساهمتها الجوهرية في التصدي لهذا الخطاب على المستوى الدولي، خاصة من خلال مؤسساتها الدينية العريقة التي تحظى باحترام وتقدير العالم أجمع، وعلى رأسها الأزهر الشريف"^{٤٢}.

ويطالب القرار لجنة مكافحة الإرهاب التابعة لمجلس الأمن، والتي تترأسها مصر، بمجموعة من التدابير لمكافحة الخطاب الإرهابي، تشمل: مواصلة تحديد والترويج للممارسات الجيدة المتبعة في مكافحة الخطاب الإرهابي، واقتراح سبل لتعزيز التعاون الدولي في هذا الصدد، ووضع نماذج للمكافحة الفعالة للخطاب الإرهابي، سواء على شبكة الإنترنت أو خارجها، ومواصلة استحداث مبادرات لتعزيز الشراكات بين القطاعين العام والخاص في مكافحة الخطاب الإرهابي، فضلاً عن التواصل مع الجهات التي لديها خبرة وتجربة في صياغة الخطاب المضاد، بما في ذلك الجهات الدينية ومنظمات المجتمع المدني وكيانات القطاع الخاص والجهات الأخرى، وتنظيم اجتماع مفتوح واحد على الأقل سنوياً لاستعراض التطورات المستجدة عالمياً في ميدان مكافحة الخطاب الإرهابي"^{٤٣}.

وباعتماد مجلس الأمن للقرار المصري، ومن قبله إصدار الإطار الدولي الشامل لمكافحة الخطاب الإرهابي، تكون مصر قد نجحت وباقتدار في وضع مكافحة خطاب وأيديولوجيات الإرهاب على أجندة مجلس الأمن وبالتالي ضمن أولويات المجتمع الدولي في إطار مكافحة الإرهاب.

^{٤٢} الخارجية: مجلس الأمن يعتمد بالإجماع قراراً مصريةً لمكافحة الخطاب الإرهابي، الهيئة العامة للاستعلامات: بوابتك إلى مصر، ٢٥ مايو ٢٠١٧،

<http://www.sis.gov.eg/Story/141761?lang=ar>

^{٤٣} المرجع السابق.

رابعاً: نتائج الدراسة، وتوصيات بشأن تجديد الخطاب الديني في مصر:

١. **حتمية التجديد:** لقد أصبح تجديد الخطاب الديني يمثل ضرورة قصوى نظراً للظروف التي تمر بها منطقة الشرق الأوسط بشكل عام وجمهورية مصر العربية بشكل خاص، ولاشك أن مصر عازمة على مجابهة الفكر المتطرف بكافة صورته وأشكاله، وتحاول بشتى الطرق التصدي له، لكن وبما إن المعركة معرفية بالأساس، فإن النجاح لن يكون إلا بمعركة أكثر عمقا على كافة الأطر سواء الثقافية، والدينية، والتنويرية، والتعليمية، والإعلامية والتي تم تشويهها في ظل غياب خطاب معاصر وملائم للمعارف الحديثة.

٢. **معركة الإرهاب فكرية بالأساس:** إن المواجهة الناجحة للتنظيمات الإرهابية يجب أن تتضمن شل قدرتها على التجنيد واجتذاب المتعاطفين بتفسيرات مشوهة لتعاليم الأديان، تُخرجها عن مقاصدها السمحة، وتتحرف بها لتحقيق أغراض سياسية.

ودائماً ما تظهر الدعوة لتجديد الخطاب الديني بعد الأحداث الكبرى مثل أحداث الحادي عشر من سبتمبر الذي طالبت بعده الولايات المتحدة بتجديد الخطاب الديني الإسلامي، ليتحمل المسلمون بصفة عامة والعرب بصفة خاصة المسؤولية كاملة عن هذه الأحداث، ويكون رد الفعل اتهام الغرب بالحرب على الإسلام وتشويه الهوية، ويحتل الساحة العناصر المتطرفة من كلا الاتجاهين دون الوصول إلى حلول جذرية للقضاء على الإرهاب بصفته تهديداً للأمن العالمي.

٣. **تحديات التجديد:** تواجه قضية "تجديد الخطاب الديني" العديد من التحديات الصعبة:

أ- إن الأوضاع السياسية قد تحول دون تجديد الخطاب الديني بسبب الصراع بين المؤسسات السياسية والمؤسسات الدينية والأزهر الشريف تحديداً من جهة، والصراع بين السلطة السياسية والقوى المحافظة من جهة أخرى تحول دون الاتفاق على مفهوم التجديد وأساسه من جهة ثانية.

ب- ومن الناحية الثقافية، فهناك العديد من القضايا التي تطرح إشكاليات في إطار تجديد الخطاب الديني لمواجهة أزمات العرب الفكرية مثل قضية "الأصالة والمعاصرة" و"الاتباع والإبداع"، مما يتسبب في تخبط فكري كبير ما بين العودة إلى الماضي وتقليد الأسلاف في مواجهة الأفكار الغربية عن ثقافتنا مما يبعدها مسافات كبيرة عن تحقيق التقدم الحضاري أو مسايرة العصر، والإبداع بما يفرضه علينا من التبعية للثقافة والفكر الغربي.

ت- هناك خطابات متعددة منها الخطاب الديني السلفي، والمحافظة، والمتحرر وما يسمى بالمعتدل والشيعي والصوفي وغيرها. أضف إلى ذلك بأن هناك خطاباً للمؤسسات الدينية

وخطابات تنتجها مجموعات دينية خارج إطار المؤسسات الدينية ليس لأحد السيطرة عليها كالخطاب السلفي الجهادي والخطاب الديني المتحرر الذي يتماهى مع القيم الغربية. إذن، نحن أمام مجموعة كبيرة من الخطابات الدينية التي لا يمكن تجديدها مرة واحدة وبسلة واحدة. هذه صعوبة لا يمكن تجاوزها بسهولة في طريق مشروع تجديد الخطاب الديني، ولحسن فهم الإسلام وحسن عرضه، وهو ما قد يفضى إلى فراغ ديني كبير.

إن تجديد الخطاب الديني قضية شاملة، لا يمكن معالجة بعد واحد منها فقط وهو البعد السياسي، وترك باقي الأبعاد الاجتماعية والثقافية، فالقضية هنا تقتضي تغيير حالة المجتمع المصري والإسلامي ككل، وإحداث تحولاً شاملاً وجذرياً، وننتقل به من حالة التخلف والتبعية والطبقية والسلطوية والاعترا ب وعدم القدرة على مواجهة تحديات العصر، إلى حالة مضادة تتحقق فيها التنمية والمساواة والعدالة الاجتماعية والقيم الديمقراطية، ويستعيد فيها المجتمع سيطرته على موارده وقدراته على مواجهة التحديات.

وأذكر هنا اقتباساً من كلمة الإمام الأكبر في مؤتمر السلام العالمي بالقاهرة في حضور بابا الفاتيكان، " ... والسؤال المحوري هو: كيف أصبح السّلامُ العالميُّ الآن مع كل هذه الإنجازات هو الفردوس المفقود؟ وكيف شهدَ عصر حُقوق الإنسان من الأعمال الهَمْجِيَّة ما لم يَشْهَدَه عصرٌ من قَبْل؟ والإجابة التي أعتقد أنّ حضراتكم توافقونني عليها هي تجاهل الحضارة الحديثة للأديان الإلهية، ولا حلّ فيما يُؤكِّدُ عُقلاء المُفكِّرين في العَرَبِ والشَّرْقِ إلّا في إعادة الوعي برسالاتِ السّماء، وإخضاع الخطاب الحداثي المنحرف لقراءة نقدية عميقة تنتشل العقل الإنساني مما أصابه من فقر الفلسفة التجريبية وخوائها، وجموح العقل الفردي المُستبد وهيمنته على حياة الأفراد، وألّا يكون طَورُ ما بعد الحداثّة قاصراً على مُجرّد تجميل هذه المذاهب وترقيعها بفلسفات الخيال والوجدان.. وفيما يرى الفلاسفة والمؤمنون فإنّه لا مفرّ من إعادة صياغة كلّ ذلك في سياق المؤاخاة والتراحم أوّلاً، وهذا السياق هو بمثابة ترياق يَضُخُّ الحياة في المذاهب الفلسفيّة، والقوالب العلميّة والعملية الجامعة، وأن هذا الترياق لا يوجد إلّا في صيدليّة الدّين والدّين وحده. ولنعمل معاً على استنقاذ كيان الأسرة ممّا يُتربّص به من انفلات الأخلاق، وانحرافات البَحث العلمي، واستنقاذ البيئة من الفَسَادِ والمُفسِدِينَ فيها. فضلاً عن الوقوف معاً في وجه سياسات الهيمنة، ونظريات: صراع الحضارات، ونهاية التاريخ، ودعوات الإلحاد، والعقلية الميكانيكيّة،

والحدائثة اللادينيّة، وفلسفات تآليه الإنسان، وما ينشأ عن كل ذلك من مأس وكرارث في كل مكان" ^{٤٤}.

توصيات :

١. لم تعد مسألة تجديد الخطاب الديني رفاهية كما كانت من قبل، بل صارت فرض عين على العلماء لدفع البلاء عن الأمة في ظل الدمار والخراب المؤسسي والفكري لكثير من البلاد الإسلامية والعربية.

٢. الحرص على عدم طغيان أو دخول السياسي -حاكما كان أو معارضا- علي مطلب تجديد الخطاب الديني، لأن من شأن ذلك في تقديري، أن يزيد إشكالية التجديد تعقيدا وارتباكاً، طالما الجهد التجديدي يمثل استجابة لطلب سياسي، مما يجعله يحمل في طياته التحيز للسلطة، وهو ما قد يجعل التجديد مرحليا لا يعكس توجهها لدى المتخصصين لمواكبة تطورات الواقع من ناحية ومجابهة التحديات المتعددة من ناحية أخرى.

٣. لا بد وأن تشمل دعاوى التجديد كل الخطابات من مؤسسات الدولة الأخرى ذات الصلة بقضايا الوعي: التربية والتعليم، والثقافة، والإعلام، والتخطيط والإصلاح الإداري... إلخ، في خطوات متوازية مع تجديد الخطاب الديني. فطالما تظل القضية الأساسية بناء وعى سليم وشخصية وطنية متزنة وتهيئة نشئ يواجه التحديات المستمرة.

٤. وضع مسألة تجديد الخطاب الديني على قائمة قضايا الأمن القومي ذلك أن أمن الأمة وسلامتها وسلمها المجتمعي قائم على المنهج الوسطي المعتدل المستمد من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وسيرة الخلفاء الراشدين وتراث العلماء المخلصين لدينهم وأوطانهم.

وختاماً، ترتبط قضية تجديد الخطاب الديني بصناعة وعى ديني وسطي سمح يواجه تحديات التطرف المنتشرة إسلاميا وعربيا وعالما. فضلا عن إطفاء نيران الإلحاد الذي يعد نتيجة من نتائج التطرف. وهي جهود لا يجب أن تنفصل عن مساعي التنمية الاقتصادية والاجتماعية والاستقرار السياسي من خلال إعادة بناء الشخصية الوطنية واستعادة الدور الحضاري الإسلامي والعربي بتأكيد الاعتزاز بما نملك، وما وهبنا الله إياه، تطبيقا لقول الله تعالى "كنتم خير أمة أخرجت للناس" صدق الله العظيم.

^{٤٤} كلمة الإمام الأكبر بمؤتمر الأزهر العالمي للسلام بحضور بابا الفاتيكان ٢٨ أبريل، ٢٠١٧، بوابة الأزهر، <http://www.azhar.eg/ArticleDetails/>